إثبات الواو وحذفها
في القراءات المتواترة
دراسة بلاغية

إعداد

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

أستاذ البلاغة والنقد ووكيل كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، على نبينا محمد الأمين، وبعد:

فلقد كانت القراءات القرآنية ـ ومازالت ـ متكأ المستشرقين والمستغربين في الطعن على الذكر الحكيم، والتشكيك في كونها وحيا، والحق أن"هذا الاختلاف بين القراءات موئله النقل، وملاذه الرواية والتوقيف، وإن ساحته لتضيق عن احتمال الاجتهادات والآراء مهما بلغت من السداد والوجاهة، وهذه الحروف التي اختلف رسمها بواو وبغير واو كلها صادرة عن المولى ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع وتغاير، ولا يرقى إلى أن يكون فيه التضاد والتنافي، فهو اختلاف لكنه في حكم الاتفاق، بل إنه دليل على إعجاز هذا الكتاب الكريم، وقد تمت مباركة هذا التنوع من المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نسخه الخليفة الراشد عثمان بن عفان في مصاحف الأمصار بما يقبل القراءتين، وباركه الصحابة الذين تلقوه مشافهة من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم"(١) وهذا التنوع مما يوجب على باحثي الأمة، وعلمائها العناية بدراسة القراءات على كل وجه ممكن يدرسها النحوي من جهة، والبلاغي من جهة أخرى، والأصولي من جانب آخر؛ بغية التأكيد على إعجازها.

---

(١) من محاضرة ألقاها د/ ياسين جاسم المحيمد على طلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٣٠هـ

وقد سبق هذا البحث دراسات في التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، منها رسالة دكتوراة، ١٩٨٦م بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر (التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية) لصديقنا المرحوم د/ عبد الله عليوه،ورسالة دكتوراة، (التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية) للدكتور/ أحمد سعد محمد طبعت فيما بعد كتابا (ط، مكتبة الآداب مصر ١٩٩٨م) وقد تناولا فيها مواضع من المواضع الثمانية المذكورة في البحث، وقد أشرنا إلى ذلك في مظانه من البحث، ولقد كان نهج هاتين الدراستين الاصطفاء لاتجاه كل منهما لعموم التوجيه للقراءات كلها، وكان نهجنا الاستقراء التام،مع توفر العناية على هذه الظاهرة.

وهذا البحث بلاغي يتناول ثمانية مواضع من الذكر الحكيم قرئ فيها بإثبات الواو وحذفها في القراءات المتواترة، وهو مما يمثل إشكالا لاتحاد السياق، واختلاف نظم الجملة وموقعها من سابقتها على كل قراءة، فأنت ترى الجملة الواحدة لها اعتلاق كمال الاتصال، أو شبهه بسابقتها، وهما موجبان من موجبات الفصل، واطّراح العاطف، وتراها موصولة بحرف العطف على قراءة الواو، والقراءتان متواترتان، والسياق واحد، وقد اقتضى هذا الإشكال اصطناع المنهج التحليلي الكلي، طريقا يمضى البحث عليه، فجريان المعنى يقتضى اصطفاء هيئة البناء، ونحن نعبر من هيئة البناء إلى فقه المعنى، ونعلل بالمعنى هيئة البناء، وهكذا يتآزر اللفظ والمعنى لتحقيق المقصد الأعظم للسورة القرآنية، ومثل هذا النمط من البحوث دقيق

الملحظ، لطيف المأخذ، لذا وجب الاعتصام بتراث الأسلاف من نحو الاستعانة بكتب توجيه القراءات، وتفاسير الأئمة الأعلام، وعلماء البلاغة، والنحو، وقد ارتضى الباحث هذه الخطوات لتطبيق المنهج الذي اصطفاه:

١ ـ جمع الآيات موضوع الدراسة.
٢ ـ توثيق القراءات من كتب القراءات المعتمدة.
٣ ـ تناولها حسب ترتيب المصحف الشريف.
٤ ـ جمع آراء أهل العلم في توجيه القراءات.
٥ ـ بيان الراجح منها اتكاء على السياق المقالي والحالي ما أمكن ذلك.
٦ ـ بيان أثر تنوع القراءات على المعنى.

هذا والله ـ وحده ـ أسأله العون، وأبتغي منه الأجر، وأرغب في الثواب، إنه ـ سبحانه ـ ولي ذلك والقادر عليه.

الموضع الأول (البقرة١١٦)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (البقرة: ١١٤ ــ ١١٦).

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ ابن عامر بغير واو ، وقرأ الباقون (الجمهور) بالواو، لذا ثبتت الواو في الرسم⁽١⁾

تنوعت آراء العلماء في توجيه القراءات في هذا الموضع على قراءة إثبات الواو وحذفها، وكلهم يبتغي التقاء القراءتين، وتعانقهما في التظاهر على بيان المعنى، وكلها تأويلات لا تعدم نصيرا لها من السياق، وهي على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

١ ـ أن حرف العطف محذوف، وهو مراد؛ استغناء عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة، ووجهوا ذلك بأن جملة (قالوا...) ملابسة بما قبلها من قوله (ومن أظلم ...) وعليه فالذين قالوا اتخذ... من جملة هؤلاء الذين تقدم

---

(١) ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٠٢، تحقيق بدر الدين القهوجي وآخرين،ط، دار المأمون للتراث ١٩٨٤م،معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٦٠، تحقيق أحمد المزيدي ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م والكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٢٦٠، تحقيق محيي الدين رمضان،ط، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م، الكنز للواسطي ١٢٩.

ذكرهم، فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها، كما استغنى عنها في قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ ﴾ (البقرة: ٣٩)(١).

٢- أن الآية وقعت مما قبلها موقع الاستئناف البياني، كأن الآية إجابة سؤال هو: لقد أسمعتنا من مساويهم عجبا، فهل انتهت مساويهم، أم لهم مساو أخرى؟ فتكون هذه الآية رجوعا إلى جمعهم في قرَن؛ إتماما لجمع أحوالهم الواقع في قوله: (مايود...) وفي قوله: (كذلك قال الذين لايعلمون...) وقد جاء بعد الآية موضوع البحث آية جمعت الفريق الثالث في مقالة أخرى، وذلك قوله: (وقال الذين لايعلمون...) وقوله: (كذلك قال الذين من قبلهم...)(٢) وعليه يكون بين الآيتين الكريمتين شبه كمال اتصال، وهو من مواطن الفصل عند البلاغيين.

---

(١) ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٠٢،٢٠٣ والكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ١/ ٢٦٠، الدر المصون للسمين الحلبي ، ١/ ٨٣، تحقيق د/ أحمد الخراط، ط، دار القلم، دمشق دون تاريخ.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ١/ ٢٢٨ ، ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، ١/ ١٥٠ ط، دار الكتب العلمية بيروت،دون تاريخ، الدر المصون للسمين الحلبي ١/ ٨٣، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي ٢/ ٢٢٧،٢٢٨ ،ط،دار الكتب العلمية بيروت،دون تاريخ، حاشية محيي الدين شيخ زادة على البيضاوي ١/ ٣٩٦، ط،دار إحياء التراث،دون تاريخ، وحاشية القونوي على الشهاب ٤/ ١٦٥، تحقيق عبد الله محمود،ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، الفتوحات الإلهية للشيخ سليمان الجمل ١/ ٩٨ ، ط، عيسى الحلبي، دون تاريخ، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢/ ٦٨٤،٦٨٣، ط، الدار التونسية ١٩٧٤م.

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

١ـ أن الواو للعطف، وأن العطف هنا من قبيل تنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، وهو أبلغ في التشنيع على القائلين بهذه المقالة،ثم اختلفوا في نوع العطف أهو من باب عطف الجملة على الجملة، أم من باب عطف القصة على القصة، والقائلون بالوجه الأول(١) اختلفوا في تحديد المعطوف عليه على أقوال :

أ ـ أن المعطوف عليه قوله (ومن أظلم ...) (البقرة/ ١١٤) اعترض عليه بأن الجملة الأولى إنشائية، إذ هي استفهام، وأن الثانية خبرية، وأجابوا عن ذلك بأن الأولى، إنشائية لفظا خبرية معنى لأن الاستفهام معناه النفي، والمعنى: لا أحد أظلم، واحتجوا لذلك بمواضع من القرآن الكريم(٢) وهذا يعني أن بين الآيتين مسوغا من مسوغات الوصل، وهو ما يطلق عليه البلاغيون : التوسط بين الكمالين.

---

(١) ينظر : معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٦٠، ، جامع البيان للطبري ١/ ٤٠٣، الكشاف للزمخشري ١/ ٣٠٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤٧٢، فتح القدير للشوكاني ١/ ١٣٣.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٨٧ ط، الحلبي دون تاريخ، محيي الدين شيخ زادة/ ١/ ٣٩٦، الفتوحات الإلهية ١/ ٩٨

ب ـ أن المعطوف عليه (منع...) واحتجوا لذلك بالمعنى، قالوا : عطفه على منع يقتضي أن يكون من قال ذلك أظلم من كل أحد كمن منع، فيكون التشنيع أبلغ(١)

ج ـ أن المعطوف عليه (وسعى...) (البقرة/ ١١٤) (٢) واعترض عليه بالفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، بجمل كثيرة أجنبية، قال المعترضون:"وهذا ينبغي أن ينزه القرآن عن مثله"(٣)

القائلون بالوجه الثاني :أنه من باب عطف القصة على القصة، قالوا:لأن الذين أخبر الله عنهم بمنع ذكر اسم الله في المساجد، والسعي في خرابها، هم الذين قالوا اتخذ الله ولدا، فوجب عطف آخر الكلام على أوله؛ لأنه كله إخبار عن النصارى، ولأن الكلام عليه كله قصة واحدة (٤) ويمكن أن يعترض على ذلك بأن المراد بالضمير في (وقالوا...) اليهود، والنصارى، وكفار العرب، ويؤيد ذلك ورود مقالاتهم في مواضع أخرى من الذكر الحكيم، والقرآن العظيم كله سياق واحد، خذ من ذلك قوله : ـ تعالى ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠) والعرب ادعوا أن الملائكة بنات الله

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٨٧ ط، الحلبي دون تاريخ، محيي الدين شيخ زادة/ ١/ ٣٩٦، الفتوحات الإلهية ١/ ٩٨ ، حاشية القونوي ٤/ ١٦٥.

(٢) ينظر: الدر المصون ١/ ٨٣، إرشاد العقل السليم ١/ ١٥٠، الشهاب ٢/ ٢٢٧،٢٢٨، القونوي ٤/ ١٦٥

(٣) ينظر: الدر المصون ١/ ٨٣، الشهاب ٢/ ٢٢٧،٢٢٨، القونوي ٤/ ١٦٥.

(٤) ينظر: الكشف ١/ ٢٦٠، الشهاب ٢/ ٢٢٧،٢٢٨.

(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون) (النحل/ ٥٧) والذين قالوا بذلك فروا من الاعتراض على القول بالعطف على قوله(ومن أظلم...) (البقرة/ ١١٤)لحاجته إلى التأويل، وذكروا أن القول بأن الواو من باب عطف القصة لايحتاج إلى تأويل.

٢ـ أن الواو للاستئناف، وقد استحسنه القائلون به لأسباب هي:

أ ـ أنه يؤدي إلى توافق القراءتين.

ب ـ أنه لايحتاج إلى تأويل كالقول بالعطف، والقاعدة أن ما لايحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل.

جـ ـ أن القول بالعطف يؤدي إلى البعد بين المتعاطفين، وهو غير مستحسن عند العرب(١)

فاصلة:

وجه د/ عليوة القراءتين بأن " الآية جاءت بالقراءتين لتبين حال هؤلاء الذين ادعوا لله ولدا، فمنهم فريق لايعتقدون ولايصدقون ماقالوه... فجاءت قراءة حذف الواو، ومنهم فريق يعتقدون ويصدقون أن لله ولدا فجاءت قراءة إثبات الواو"(٢) وهذا منظور فيه إلى سياق الحال، وهو غير مؤكد، لأن القرآن عمم في حكاية حالهم جميعا،ولجأ د/ أحمد سعد إلى توجيه عام يمكن أن يقال في كل موضع، ولا يخص موضعا دون آخر حيث

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب ٢/ ٢٢٧،٢٢٨، وحاشية القونوي عليه ٤/ ١٦٥.

(٢) التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية د/ عبد الله عليوة ٥٠٩ دكتوراة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦م.

قال: قراءة إثبات الواو تأكيد للربط بلفظه الظاهر، وقراءة حذفها تستشعر الترابط المعنوي⁽¹⁾ وما أوجز قول البقاعي،وأحكمه في الجمع بين القراءتين فقد قال: ـ رحمه الله ـ " ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر، على طريق الاستئناف في جواب من كأنه قال: هل انقطع حبل افترائهم؛ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك، وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها... لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها، والحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب، وأما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة، وإذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصبابا واحدا"⁽²⁾ وهذا يعني أن قراءة الحذف يتوجه التشنيع بها إلى المقالة أيا كان قائلوها،والقراءة بإثباتهاعلى أنهاعاطفة أو استئنافية يتوجه بالتشنيع على القائلين، أيا كانوا، وبذا تلتقي القراءاتان على التشنيع على المقالة لفظاعة سوئها، والتشنيع على القائلين، تبشيعا لهم وتقبيحا، فالقراءتان تآزرتا على إظهار المعنى، أضف إلى ذلك أن هذا التوجيه ينسجم مع السياق القرآني العام في توجيه الذم إلى كل من قال بهذه المقالة، من أهل الكتاب ومن غيرهم.

---

(١) ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/ أحمد سعد ٣٦٠، ط، مكتبة الآداب ١٩٩٨م.

(٢) نظم الدرر ١/ ٢٢٨.

الموضع الثاني (آل عمران١٣٣)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠ – ١٣٣) **التوثيق** : ما فوق الخط: قرأ نافع، وابن عامر بغير واو ، وقرأ الباقون (الجمهور) بالواو، لذا ثبتت الواو في الرسم(١)

اتجه العلماء اتجاهات عدة في توجيه القراءات في هذا الموضع بيد أن التوجيه لا تواجهه إشكالات على النحو السالف في الآية السابقة، والسياق لا يأبى أيا من هذه التوجيهات، وهي على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

١ـ أن حذف الواو للاستئناف والقطع، قالوا: وهو مع الاستئناف ملتبس بما قبله؛ لأن الضمائر غير مختلفة، والمأمورين غير مختلفين، وأن النظم الكريم قد استأنف الأمر بذلك لبيان أن الإطاعة المذكورة تؤدي إلى المغفرة(٢) والذي ذكره العلماء هنا يعني أن قوة التباس الجملة بما قبلها

---

(١) ينظر: معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ١٣٣، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٣٥٦، الكنز للواسطي١٤١.

(٢) ينظر : الكشف ١/ ٣٥٦ ،المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٠٧ تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م، القرطبي ٣/ ١٤٤٥،البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦١، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين،ط،دار الكتب العلمية ١٩٩٣م، الدر= =المصون ٣/ ٣٩٤،إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٨٤، محيي الدين شيخ زادة ١/ ٦٧١، فتح القدير ١/ ٣٨١.

في المعنى أغنى عن الربط بالواو، وعلى هذا التأويل يختلف التوجيه البلاغي على وجهين :

أ ـ أن الآية وقعت مما قبلها موقع شبه كمال الاتصال، قال الشيخ الجمل:"كأنه قيل : كيف نطيعهما؟ فقيل: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة"(١)

ب ـ أن بين الآيتين كمال اتصال، وهو بين في كلام البقاعي حين قال:" وعلى قراءة (سارعوا) بحذف الواو يكون التقدير : سارعوا بفعل ما تقدم فهو في معناه لامغائر له"(٢) فمن ترك الواو فلأنه جعل قوله تعالى (وسارعوا) وقوله :(وأطيعوا) كالشئ الواحد، ولقرب كل واحد منها من الآخر في المعنى أسقط العاطف، وقد صرح بذلك ابن عاشور حين قال: " تنزل جملة (وسارعوا...) منزلة بدل البيان، أوبدل الاشتمال لجملة(وأطيعوا...) لأن طاعة الله والرسول مسارعة إلى المغفرة والجنة فلذلك فصلت"(٣)

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

١ـ أن الواو واو العطف، وأن الجملة معطوفة على ما قبلها من قوله (وأطيعوا الله...) وهو من باب عطف الجملة على الجملة، والتقدير:

---

(١) الفتوحات الإلهية ١/ ٣١٤.

(٢) نظم الدرر ٢/ ١٥٧.

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ٨٨.

وأطيعوا الله والرسول، وسارعوا...(١) قال ابن عاشور موجها:"ولكون الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة جاز عطف الجملة على جملة الأمر بالطاعة"(٢)

٢ـ أن العطف تفسيري على وأطيعوا (٣) وعليه فالواو كأنها غير موجودة، وقد راجعت كتب حروف المعاني، ولم أجد ذكرا لنوع هذه الواو.

فاصلة:

اجتهد د/ عليوة في هذا الموضع، وانتهى إلى وجه في الجمع بين القراءتين اتكأ فيه على دلالة (وسارعوا) حيث بين أن قراءة الحذف تتجه إلى سرعة الانتهاء عن الربا، وقراءة الإثبات تتجه إلى المسارعة إلى الخير بوجه عام،(٤) وقد ذكر ابن عاشور وجها في الجمع بين القراءتين، وهو وجه مقبول لكنه يحتاج إيضاحا، قال رحمه الله"وفي هذه الآية ما ينبئنا بأنه يجوز الفصل والوصل في بعض الجمل باعتبارين"(٥) هذا الإيضاح يعني النص على الاعتبارين، وبيان ما يؤيد كل اعتبار، لإمكان استجلاء ثراء القراءات القرآنية وتعانقها، والحق أن السياق، وبناء الجملتين يؤيد كل هذه الوجوه،

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٣٥٦، القرطبي ٣/ ١٤٤٥، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦١، إرشاد العقل السليم، ١/ ٨٤، فتح القدير ١/ ٣٨١، محيي الدين شيخ زادة ١/ ٦٧١.

(٢) التحرير والتنوير ٤/ ٨٨.

(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ٣١٤.

(٤) التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية ٥١١.

(٥) التحرير والتنوير ٤/ ٨٨.

فمن أراد برهانا على أي وجه وجده، فالذين وجهوا قراءة الحذف بأن ذلك قد وقع بسبب شبه كمال الاتصال، ويؤيده أن المغفرة مسببة عن الطاعة، فالطاعة سبب فيها، وإذا قامت هذه العلاقة بين جملتين حسن حذف الواو.

والذين ذكروا أن سبب حذف الواو كمال الاتصال بين الجملتين، وبينوا وجهه من باب عطف البيان، أو بدل الاشتمال يؤيد مذهبهم الارتباط القوي بين الطاعة والمسارعة إلى المغفرة حتى كأنها عينها، وفي ذلك من الترغيب في الطاعة مافيه، لأن الأمر إذا حدث تلازم قوي بينه وبين نتائجه، سهل على المأمورين، واجتهدوا فيه، فأراد النظم الكريم إبراز هذا التلازم، زيادة في حث المؤمنين على الطاعة.

والذين وجهوا قراءة إثبات الواو بأنها الواو العاطفة، لهم ما يؤيدهم أيضا، لأن العطف يقتضي المغايرة، وكأن المعنى على هذه القراءة يغاير بين الأمرين، ويجعل الثاني غير الأول، وفيه من الإثارة ما فيه، فالذي يسمع الواو يتوهم أن الثاني، غير الأول، وعند التأمل يرى أنهما شيء واحد، وهو مما يعين على التدبر، ويحمل على التأمل، وما من ريب أن المعنى إذا نيل بعد التعب كان أقعد في النفس، وأمكن، والذين ذكروا أن العطف تفسيري، كان مرادهم ـ فيما أحسب ـ الجمع بين القراءتين، لكن كل قراءة أضافت معنى لايأباه السياق، فتعانقت كل الوجوه، والنص حمّال، وهذا ـ فيما أبصر يثري المعنى.

الموضع الثالث(المائدة٥٣)

قَالَ تعَالَى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ **وَيَقُولُ** ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (المائدة: ٥١ ـ ٥٣)

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر (يقول) بغير واو في أوله،وقرأ الباقون (الجمهور) بالواو،لذا ثبتت الواو في الرسم،وقرأ (يقول) برفع اللام ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وقرأ أبو عمرو (ويقول) بالنصب، وقرأ الكوفيون (ويقول) رفعا، وروى علي بن نصر عن أبي عمرو الرفع والنصب جميعا (١)

اجتهد علماؤنا في توجيه القراءات في هذا الموضع، لكن اجتهاداتهم يعوزها كشف السياق الذي كان واضحا في أذهانهم، واقتضى الحال في زماننا كشف السياق، وتجليته، بما يكشف عن تعانق القراءتين، وتظاهرهما على إبراز المعنى.

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

أجمع العلماء ـ فيما تيسر لي الاطلاع عليه من تراثهم ـ على أن قراءة الحذف، مع إجماع القراء على رفع (يقول) تعني أن جملة (يقول...) وقعت من سابقتها موقع الاستئناف البياني،وأنها جاءت جوابا عن سؤال مقدر ناشئ عما سبق، كأنه قيل : فماذا يقول المؤمنون إذا جاء الفتح أو أمر من قوة

---

(١) ينظر: معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ١٤٢، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٤١١،٤١٢، الكنز للواسطي ١٥٠.، والتوجيه البلاغي في القراءات القرآنية دعليوة ٥١٣.

المسلمين، ووهن اليهود ؟ فقيل : يقول....(١) وماذكروه هو شبه كمال الاتصال.

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

اختلفوا في توجيه هذه القراءة على وجوه جاءت على النحو الآتي:

١ـ أن الواو عاطفة، وذلك على قراءة من نصب (يقول) واختلفوا في المعطوف عليه على ثلاثة أقوال:

أ ـ أنها عطفت يقول على (فيصبحوا...) وهو الراجح عندهم ، لبعده عن التكلف، وأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين، لاعند إتيان الفتح فقط، والمعنى : ويقول الذين آمنوا بعضهم لبعض...

ب ـ أنها عطفت يقول على (يأتي...) وقد ذكروا أن هذا الوجه فيه تكلف، وأنه بحاجة إلى تقدير لفظ مؤخر ليصح العطف فلابد من تقدير (أن) إلى جنب عسى إذ لايحسن :عسى الله أن يأتي، وعسى الله أن يقول الذين آمنوا ... أي ليصح العطف نقول: فعسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، ويقول الذين آمنوا...، وقد ذكروا أيضا أنه يجوز أن يجعل (أن يأتي) بدلا من اسم الله ـ جل ذكره ـ فيصير التقدير : فعسى الله أن يأتي الله بالفتح ويقول... والتكلف باد كما ترى

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٤١١،٤١٢، الكشاف ١/ ٦٢٠، أنوار التنزيل ١/ ٢٧٩، إرشاد العقل السليم ٢/ ٤٧، فتح القدير ٢/ ٥١ ، الفتوحات الإلهية ١/ ٥٠١.

جـ- أنها عطفت على (الفتح) ويكون ذلك من باب قول الشاعر:

للبس عباءة، وتقر عيني * أحب إليّ من لبس الشفوف(١)

وعليه تكون الواو واو السببية، فيكون الإتيان بالفتح سببا في هذه المقالة(٢)

٢ - أن الواو استئنافية على قراءة من رفع (يقول) فيكون كلاما مبتدأ مسبوقا لبيان ما وقع من هذه الطائفة، وقد ذكروا أن الغرض من ذلك بيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة(٣)

٣- تفرد ابن عاشور بالقول بأن الواو عاطفة على قراءتي الرفع، والنصب، حيث قال:" الواو عاطفة على قراءة رفع (يقول) عطفا على (فعسى الله...) وبنصب يقول عطفا على (أن يأتي)..."(٤) وهو وجه غريب فيما أرى.

---

(١) البيت من شواهد سيبويه،ولم ينسبه لأحد، وقد نسبه قوم إلى ميسون بنت بحدل، ينظر: عدة السالك بهامش أوضح المسالك د/ محمد محيي الدين عبد الحميد٤/ ١٩٢ ،ط المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.

(٢) ينظر: الكشف ١/ ٤١١،٤١٢،معاني القراءات ١٤٢،الكشاف ١/ ٦٢٠، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٢١٥، أنوار التنزيل ١/ ٢٧٩، إرشاد العقل السليم ٢/ ٤٧، فتح القدير ٢/ ٥١ ، زادة على البيضاوي ٢/ ١١٨،الفتوحات الإلهية ١/ ٥٠١.

(٣) ينظر : معاني القراءات ١٤٢،الكشاف ١/ ٦٢٠، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٢١٥، إرشاد العقل السليم ٢/ ٤٧،الفتوحات الإلهية ١/ ٥٠١.

(٤) التحرير والتنوير ٦/ ٢٣٣.

فاصلة:

حاول السابقون من العلماء الجمع بين القراءتين فقالوا : "حذف الواو وإثباتها لا يغير المعنى"(١) وقد علله أحد العلماء بـ " أن في الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فإن بقوله (يسارعون فيهم...) وهم الذين قال فيهم المؤمنون:(أهؤلاء ...) فلما حصل في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن العطف بالواو وبغير الواو"(٢) وهو فيما أبصر غير مقبول، وليس ذلك قدحا فيهم لأنهم لم يفرغوا لما فرغ له بحثنا، ويمكننا القول بأن الجمع بين القراءتين واضح في قراءة الرفع، وقراءة حذف الواو بيد أن الفرق بينهما أن حذف الواو استغني فيه بالرابط المعنوي عن الرابط الحسي (العطف) وأن الاستئناف بالواو أوحى باستقلال المعنى الثاني عن المعنى السابق، وفيه بيان لكمال قبحهم، وسوء أفعالهم.

---

(١) معاني القراءات ١٤٢.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ٥٠٦

الموضع الرابع (الأعراف٤٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٤٣)

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ ابن عامر بغير واو ، وقرأ الباقون (الجمهور) بالواو، لذا ثبتت الواو في الرسم⁽¹⁾

اتجهت آراء الأئمة هنا للجمع بين القراءتين، وفي السياق ما يؤيد كل توجيه، وهذا من ثراء المعنى في القراءات القرآنية، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

١- أن بين الجملتين كمال اتصال، وقد اختلفت عباراتهم بما يؤدي السبب السالف، فمنهم من يقول إن الجملة موضحة للأولى، ومن قائل : إنها تفسير للأولى، ومن قائل: إن قوة الالتباس بين الجملتين أغنى عن العاطف، ومنهم من صرح بأن كمال اتصال إحدى الجملتين بالأخرى يمنع العطف⁽²⁾ والمعنى على هذا يارب ما كنا لنهتدي...

---

(١)ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٢٥، معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ١٨٠، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٤٦٤، الكنز للواسطي ١٥٩.

(٢) ينظر:الكشف ١/ ٤٦٤، معاني القراءات ١٨٠،الحجة للفارسي ٤/ ٢٥، الموضح في القراءات لابن أبي مريم ٢/ ٥٢٧، الكشاف ٢/ ٧٩، مفاتيح الغيب ٧/ ٧٤، أنوار التنزيل ١/ ٣٤٩،نظم الدرر ٣/ ٣٥، زادة على البيضاوي ١/ ٣٤٩.

٢ـ أن بين الجملتين شبه كمال اتصال، واختلفت عباراتهم في البيان عن ذلك أيضا فمن قائل : الجملة مستأنفة، ومن قائل : إن هذه الجملة مفصولة عن التي قبلها على اعتبار كونها كالتعليل للحمد، والتنويه بأنه حمد عظيم على نعمة عظيمة(١) .

٣ـ أن الجملة حالية : وهي على ذلك في موضع الحال من الضمير المنصوب، أي: هدانا في هذه الحال، حال بعدنا عن الاهتداء(٢).

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

١ـ أن الواو عاطفة من باب عطف الجملة على الجملة(٣).

٢ـ أن الواو تأكيد لارتباط الجملة الثانية بالأولى(٤).

٣ـ أن الواو استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة.(٥).

٤ـ أن الواو واو الحال، وأن صاحب الحال هو الضمير المنصوب وهو (نا) في قوله :(هدانا)(٦).

---

(١) ينظر:فتح القدير للشوكاني ٢/ ٢٠٦، التحرير والتنوير ٨/ ١٣٣.

(٢) ينظر:الفتوحات الإلهية ٢/ ١٤٣.

(٣) ينظر: الكشف ١/ ٤٦٤، الموضح ٢/ ٥٢٧.

(٤) ينظر: الكشف ١/ ٤٦٤.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٢٧، فتح القدير ٢/ ٢٠٦، الفتوحات الإلهية ٢/ ١٤٣.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٢٧، فتح القدير ٢/ ٢٠٦، الفتوحات الإلهية ٢/ ١٤٣، التحرير والتنوير ٨/ ١٣٢.

فاصلة:

حاول د/ عليوة الجمع بين القراءتين، فرأى أن قراءة الإثبات وصل سببه التوسط بين الكمالين، بجامع ظهور المنة على ألسنة أهل الجنة في الجملتين، وقراءة الحذف تعليل للحمد، ولم يزد د/ سعد عن توجيه القراءتين بأن الإثبات تأكيد للربط اللفظي، والحذف تأكيد للربط المعنوي(١) وقد بينا أنه وجه عام على حد ما نعى عبد القاهر على السابقين، في قولهم إن التقديم للعناية والاهتمام، والذي أراه أن آراء الأئمة قد اتجهت للجمع بين القراءتين، فالذين ذكروا أن الواو للاستئناف، والذين قالوا إن الجملة في موضع الحال على قراءة حذف الواو يتجهون إلى الجمع بين القراءتين، وهو أفضل مما قاله صاحب معاني القراءات محاولا الجمع بين القراءتين:" إخراج الواو وإدخالها لايغير المعنى في مثل هذا الموضع"(٢) والحق أن المعاني تتكاثر بتكاثر الأوجه، وهو من المسلمات، وهذا التنوع في القراءات أثرى المعنى، فيمكننا أن نقول على كل التأويلات : وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا، في حال عدم اهتدائنا لأن المؤمن لاحول له ولاقوة، حتى قدرته على الحمد إنما تكون من عند الله،وأيضا: وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا المسبب عن اهتدائنا بفضلك الذي لولاه ما هدينا، وأيضا: ياربنا ما كنا لنهتدي لولا أن هديتنا، وكل هذه المعاني متعانقة كما تبصر، وتثري المعنى، وكل ذلك ولفظ القرآن هو لفظه، عدا وجود الواو على قراءة، وعدم وجودها على أخرى، وكل جاء به التنزيل.

---

(١) ينظر : التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية د/ عليوة ٥١٤، والتوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/ أحمد سعد ٣٦٢:٣٦٤.

(٢) معاني القراءات ١٨٠.

الموضع الخامس (الأعراف٧٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥)﴾ (الأعراف: ٧٣ ـ ٧٥)

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ الشامي بواو وقرأ الباقون (الجمهور) بغير واو، لذا حذفت الواو في الرسم(١)

أحالت كتب توجيه القراءات في هذا الموضع على ما سبق من أمثاله، وأحال كثير من المفسرين أيضا على ما سبق من أمثال هذا الموضع، وسنجمل الآراء المذكورة في التوجيه على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

١ـ أنه اكتفي بالربط المعنوي عن الربط بالعاطف.(٢)

٢ ـ أن الجملة وقعت من سابقتها موقع شبه كمال الاتصال، وهو من موجبات الفصل، وعبروا عن ذلك بقولهم : إن الجملة جواب لسؤال مقدر.(٣)

---

(١) ينظر: معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ١٨٢، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٤٦٧، الكنز للواسطي ١٦٠.

(٢) ينظر:الفتوحات الإلهية ٢/ ١٥٩.

(٣) ينظر:إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٤١، الفتوحات الإلهية ٢/ ١٥٩.

٣ـ أن ذلك جاء جريا على طريقة أمثاله في حكاية المحاورات.(١) والذي قال بذلك نظر إلى نمط الحوار في قصص النبيين في السورة، وهو وجه له ما يؤيده من السياق بالنظر في نهج بناء المحاورات في الآيات (٨٨، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧١).

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

أجمع العلماء ـ فيما تيسر لي الاطلاع عليه في هذا الموضع ـ على أن الواو عاطفة، واختلفوا في تحديد المعطوف عليه على قولين :

١ـ أنها نسقت هذه الجملة على ما قبلها (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم ...) (الأعراف/ ٧٣).

٢ـ أن المعطوف عليه مقدر دل عليه قوله (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) والتقدير: فآمن به بعض قومه، وقال الملأ من قومه...(٢) والذين قالوا بهذا الوجه، فرّوا ـ فيما يظهر ـ من البعد بين المتعاطفين، فبين المتعاطفين أكثر من أربعة أسطر، والعلماء ينزهون القرآن عن مثله.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٤١، الفتوحات الإلهية ٢/ ١٥٩، التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٤، وينظر التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية د/ عليوة ٥١٥.

فاصلة:

تتعانق القراءتان في التظاهر على المعنى، وتلتقي كل واحدة منهما بالأخرى، ويغزر المعنى القرآني، فالذين وجهوا قراءة الحذف بشبه كمال الاتصال قدروا محذوفا، والذين وجهوا قراءة الإثبات قدروا معطوفا عليه محذوفا، وحين نبصر التقديرين نرى التعانق واضحا فيمكن أن نقول تقدير المعنى: فآمن به بعض قومه، فما كان جواب المستكبرين منهم؟ فالعطف يجعل النوعين من الأتباع متواجهين (المؤمنون الضعفاء بوجه المستكبرين الكفار) وتقدير السؤال يلائم حال المتلقين فإن معرفة حال الضعفاء يتبعه طلب معرفة حال المستكبرين، والنظم لاءم الحالين، وراعى حال المتلقين، أضف إلى ذلك أن حذف المعطوف عليه يوحي بقلة عدد المؤمنين، واستتارهم بإيمانهم، وحذف السؤال عن موقف المستضعفين من المؤمنين دليل على قيامه في أذهان المخاطبين فعومل القائم في الذهن معاملة الموجود، فاستغني بثبوته في الذهن عن إثباته في النظم، ثقة بعقل السامع، واعتدادا بعقله، وفيه من إشراك القارئ في النظم ما فيه.

الموضع السادس (التوبة ١٠٨)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
(التوبة: ١٠٦ - ١١٠)

التوثيق : ما فوق الخط قرأ نافع، وابن عامر بغير واو ، وقرأ الباقون (الجمهور) بالواو، لذا ثبتت الواو في الرسم⁽¹⁾

أحالت كتب توجيه القراءات في هذا الموضع على ما سبق من أمثاله، وأحال كثير من المفسرين أيضا على ما سبق من أمثال هذا الموضع، وسنجمل الآراء المذكورة في التوجيه على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

١ـ أنها نعت لما قبلها⁽²⁾ وهو غير صالح من حيث المعنى؛ لأن المرجين لأمر الله لهم توبة، وهؤلاء لاتوبة لهم، فلا يصلح أن يكون (الذين...) نعتا لهم.

---

(١) ينظر: معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٢١٥، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ١/ ٥٠٧، الكنز للواسطي ١٦٩

(٢) معاني القراءات ٢١٥.

٢ـ أن الجملة استئنافية، والاستئناف ابتدائي، لأنها قصة على حيالها، و(الذين...) مبتدأ،والخبر إما أن يكون قوله :(أفمن أسس بنيانه...) والعائد محذوف، وإما أن يكون قوله:(لايزال بنيانهم...) وإما أن يكون قوله :(لاتقم فيه أبدا) وإما أن يكون محذوفا تقديره : يعذبون، وإما أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف(١) قال ابن عاشور :" ونكتة الاستئناف هنا التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها، وبين حال المراد بالجملة التي قبلها، وهم المرجون لأمر الله"(٢)

٣ـ أن الجملة وقعت من سابقتها موقع الجواب عن سؤال، فالاستئناف بياني،كأنه قال : مَنْ مِنَ الماردين منهم؟ فقال ـ تعالى ـ (الذين اتخذوا...)(٣) وهو قريب من القول بالاستئناف الابتدائي.

٤ـ أنها بدل من (وآخرون...)، واعترض على هذا الوجه بأن(آخرين) ترجى لهم التوبة، و(الذين اتخذوا...) لاترجى لهم توبة لقوله (لايزال ببنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم)(٤)

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ٢١٣، الكشف ١/ ٥٧، الموضح ٢/ ٦٠٥، إرشاد العقل السليم ٣/ ١٠٠، فتح القدير ٢/ ٤٠٢، الفتوحات الإلهية ٢/ ٣١٦، التحرير والتنوير ١١/ ٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٢٩.

(٣) ينظر: نظم الدرر ٣/ ٣٨٥، الفتوحات الإلهية ٢/ ٣١٦.

(٤) ينظر : الكشف ١/ ٥٧، محيي الدين شيخ زادة على البيضاوي ٢/ ٣٥٢، الفتوحات الإلهية ٢/ ٣١٦.

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

١ـ أن الواو عاطفة، واختلفوا في العطف هل هو من عطف الجملة على الجملة، أو من باب عطف القصة على القصة، وعليه فالمعطوف عليه هو (ومنهم من عاهد الله...) والتقدير: ومنهم من عاهد الله... ومنهم من يلمزك...ومنهم الذين يؤذون...ومنهم آخرون مرجون...ومنهم الذين اتخذوا...، أو أنها معطوفة على (وآخرون مرجون)(١) وهذا الوجه ملائم لنسق السورة، ونهجها النظمي في تصنيف الأمة آنذاك، فمن أسمائها (أي:سورة التوبة) الفاضحة لذا عُنيت ببيان أصناف الناس بأسلوب(ومنهم...).

٢ـ أن الواو استئنافية، (والذين...) مبتدأ خبره محذوف، أي: فيمن وصفنا(٢) وهذا التقدير يتلاقى مع الوجه الثاني من توجيهات قراءة حذف الواو.

٣ـ أنه منصوب على الاختصاص، وأنه للذم(٣) والذين قالوا به فرّوا من إشكالات العطف، والخوف ـ حين القول بالعطف ـ من الوقوع في البعد بين المتعاطفين، وهو مما ينزه القرآن عن مثله.

---

(١) ينظر: معاني القراءات ٢١٥، الكشف ١/ ٥٧، الموضح ٢/ ٦٠٥، الكشاف ٢/ ٢١٣، نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٣٨٥، أنوار التنزيل ١/ ٤٣١، فتح القدير ٢/ ٤٠٢، التوجيه البلاغي د/ عليوة ٥١٦.

(٢) ينظر: معاني القراءات ٢١٥، الكشف ١/ ٥٧، الموضح ٢/ ٦٠٥، الكشاف ٢/ ٢١٣، نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٣٨٥، أنوار التنزيل ١/ ٤٣١، فتح القدير ٢/ ٤٠٢.

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٣٨٥، أنوار التنزيل ١/ ٤٣١.

فاصلة:

قال ابن عاشور ـ محاولا الجمع بين القراءتين :" وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة، وليس ما بعد الواو عطف مفرد"(١) وهذا الذي ذكره ـ رحمه الله ـ يقتضي تفصيلا، والحق أن القراءتين يغزر بهما المعنى، ويزداد ثراء، فالذين وجهوا قراءة الحذف بالاستئناف الابتدائي يتلاقى توجيههم ، مع توجيه قراءة إثبات الواو بأن الواو للاستئناف، دون إغفال للفرق بين دلالة الاستئنافين في المعنى، فالاستئناف الابتدائي يعلن من أول الأمر عن استقلال المعنى، وتأسيسه، والاستئناف بالواو يوهم تبعية المعنى لما قبله، وحين النظر ينتهي المتأمل إلى إشكالات تبعية المعنى لما قبله، فينتبه بعد التأمل إلى أن المراد الاستئناف لا التبعية، فهو في الوجه الثاني لايصل إلى المعنى إلا بعد تعب، وليس ما نيل بعد التعب، كما نيل بلا طلب، ولا يتعارض هذان التوجيهان مع القول بأن الواو عاطفة، لأنها من باب عطف القصة على القصة، وهو وجه أبعد نظرا،وأعمق غورا في إبصار سياق السورة، وتأمل نهجها النظمي على ما بينا، والذين نصبوا (والذين ....) على الاختصاص مع القول بأن الواو استئنافية، قصدوا توفر النظم على ذم هذا النوع ، وليس الذم منفيا عنهم على الوجوه الأخرى، لأن الذم من أصلاب المعنى هاهنا، غير أن القائلين بالنصب على الاختصاص بالذم طلبوا الراحة، وفروا من العنت، فقد تلاقت كل التوجيهات، ولم يأب السياق أيا منها، بل المعنى على كلتا القراءتين أغزر، وأوفر، ولله الحمد والمنة.

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٢٩.

الموضع السابع(الأنبياء ٣٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ ابن كثير بغير واو قبل اللام، وقرأ الباقون بالواو (الجمهور) لذا ثبتت الواو في الرسم(١)

أحالت كتب توجيه القراءات في هذا الموضع على ما سبق من أمثاله، وأحال كثير من المفسرين أيضا على ما سبق من أمثال هذا الموضع، وسنجمل الآراء المذكورة في التوجيه على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

أجمعوا على أن الجملة على هذه القراءة استئنافية، وأنه قد ابتدئ بها معنى جديد؛ وفي ذلك من إعلان النعي على الكافرين، والتنبيه على زيادة غباوتهم ما فيه، والاستفهام إنكاري على القراءتين(٢)

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

أجمع العلماء في هذا الموضع - فيما تيسر لي الاطلاع عليه - على أن الواو عاطفة، وأن المراد بهذا العطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول، وما فيه من العجائب(٣)

---

(١) ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٦، معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٣٠٦، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ٢/ ١١٠، الكنز للواسطي ١٩٨.

(٢) ينظر : الكشف ٢/ ١١٠، نظم الدرر ٥/ ٧٩، إرشاد العقل السليم ٦/ ٦٣، التحرير والتنوير ١٧/ ٥٢،٥٣.

(٣) ينظر : معاني القراءات ٣٠٦، الكشف ٢/ ١١٠،مفاتيح الغيب ١١/ ١١٢، نظم الدرر ٥/ ٧٩، إرشاد العقل السليم ٦/ ٦٣، التحرير والتنوير ١٧/ ٥٢،٥٣.

فاصلة:

القول بالعطف الاستدلالي يتعانق مع القول بالاستئناف الابتدائي؛لأن المعطوف عليه محذوف (أعموا) وتقدير المعطوف عليه ناظر إلى مطلع السورة الكريمة (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (الأنبياء/ ١) كما أن القول بالعطف الاستدلالي منظور فيه إلى السياق اللاحق للآية موضوع البحث، فالسياق يتحدّر بعد الآية في الإحالة على النظر إلى الخلق (وجعلنا في الأرض رواسي ...) (الأنبياء/ ٣١) و(وجعلنا السماء...) (الأنبياء/ ٣٢)، (وهو الذي خلق الليل والنهار...) (الأنبياء/ ٣٣) والقول بالاستئناف ينسجم مع كون الآية موضوع البحث أول آية في السورة في الاستدلال بالخلق الأول على الخلق الثاني، المذكور في أول السورة، فالقراءاتان مؤيدتان بالسياق السابق والسياق اللاحق، فهو استئناف ابتدائي لكون الآية أول آيات الاستدلال بالخلق الأول في السورة، فناسبه حذف الواو، وهو استدلال لما ذكر في أول السورة فناسبه ذكر الواو، فتعانقت القراءاتان، والتقتا على ثراء المعنى ، فلله الحمد رب العالمين.

الموضع الثامن (القصص ٣٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾ (القصص: ٣٦ – ٣٧)

التوثيق : ما فوق الخط: قرأ ابن كثير بغير واو ، وقرأ الباقون بالواو (الجمهور) لذا ثبتت الواو في الرسم(١)

أحالت كتب توجيه القراءات في هذا الموضع على ما سبق من أمثاله، وأحال كثير من المفسرين أيضا على ما سبق من أمثال هذا الموضع، وسنجمل الآراء المذكورة في التوجيه على النحو الآتي:

أولا : توجيه قراءة حذف الواو :

أجمع العلماء في هذا الموضع - فيما تيسر لي الاطلاع عليه - على أن علاقة الجملة بسابقتها علاقة شبه كمال الاتصال، وعبروا عنه بالاستئناف، وكأن سائلا سأل فقال : ماذا أجابهم به عند تسميتهم الآيات الباهرة سحرا(٢)

ثانيا : توجيه قراءة إثبات الواو :

أجمع العلماء في هذا الموضع - فيما تيسر لي الاطلاع عليه - على أن الواو للعطف، وأنه من باب عطف الجملة على الجملة ، وأن المراد من هذا

---

(١) ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٤٢٢، معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٣٦٧، الكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي ٢/ ١٧٤، الكنز للواسطي ٢١٤.

(٢) ينظر: معاني القراءات ٣٦٧، الكشف ٢/ ١٧٤، أنوار التنزيل ٢/ ١٩٤، إرشاد العقل السليم ٧/ ١٢، الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٤٩، التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٩، ١٢٠.

العطف أن يوازن السامع بين الكلامين، ويتبصر بعقله الفاسد منهما فبضدها تتبين الأشياء(١)

فاصلة:

ذكر ابن عاشور كلاما طيبا في هذا الموضع جمع فيه بين القراءتين يحسن ذكره كله، وربما يكون كافيا في الجمع بين القراءتين، وذلك حيث قال:"وكان مقتضى الاستعمال أن يحكى كلام موسى بفعل القول غير معطوف بالواو شأن حكاية المحاورات كما قدمنا غير مرة، فخولف ذلك هنا بمجيء حرف العطف في قراءة الجمهور غير ابن كثير؛لأنه قصد هنا التوازن بين حجة ملأ فرعون وحجة موسى، ليظهر للسامع التفاوت بينهما في مصادقة الحق، ويتبصر فساد أحدهما، وصحة الآخر، وبضدها تتبين الأشياء، فلهذا عطفت الجملة جريا على الأصل غير الغالب للتنبيه على أن فيه خصوصية غير المعهودة في مثله فتكون معرفة التفاوت بين المحتجين محالة على النظر في معناهما، وقرأ ابن كثير، (قال موسى...) بدون واو على أصل حكاية المحاورات، وقد حصل من مجموع القراءتين الوفاء بحق الخصوصتين من مقتضى حالي الحكاية"(٢)

---

(١) ينظر: معاني القراءات ٣٦٧، الكشف ٢/ ١٧٤، أنوار التنزيل ٢/ ١٩٤،نظم الدرر ٥/ ٤٨٩إرشاد العقل السليم ٧/ ١٢، الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٤٩، التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٩،١٢٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/ ١١٩،١٢٠.

وذكر د/ سعد : أن قراءة الحذف صورت وقع الفرية على نفوس الفئة المؤمنة، فأثارت فيهم سؤالا على سبيل التعجب عما أجاب به موسى قوم فرعون، وقراءة الإثبات أوحت بالمغايرة، ليوازن كل منهم بين القول والمقول، ويتبصر فساد أحدهما من الآخر.(١) وهو لم يزد على ماذكره ابن عاشور .

---

(١) ينظر: التوجيه البلاغي د/ أحمد سعد ٣٦٥.

الخاتمة

بعد هذا الإبحار بتنوع القراءات في إثبات الواو وحذفها في الذكر الحكيم نتتهي إلى أمور منها:

١. أن الواو ثبتت في الرسم في سبعة مواضع حيث قرأ الجمهور بإثباتها، ولم تثبت في الموضع الخامس (الأعراف/ ٧٥) لأن قراءة الجمهور على حذفها.

٢. أن إثبات الواو وحذفها جاء ملائما للسياق ملبيا مطالبه، فالسياق المقالي منه ما يطلب الواو، ومنه ما يأباها، فتنوعت القراءات لتنوع مطالب السياق.

٣. أن المعنى على الاستئناف البياني ليس كالمعنى على الاستئناف الابتدائي، ففي الأول تبعية من حيث اتصال المعنى فبين الجملتين شبه كمال اتصال، وفي الثاني استقلال، واستئناف معنى جديد، لا يعني انقطاع الصلة بما قبله، وإنما يدخل في الإطار العام للتناسب في السورة وعناصر مقصودها، وعموم غرض الآيات موضوع الشاهد، وهذا شيء وشبه كمال الاتصال شيء آخر فالاستئناف البياني رابط جزئي، والاستئناف الابتدائي رابط كلي.

٤. أن القراءات القرآنية في إثبات الواو وحذفها تعانقت في سبيل إغزار المعنى، وإثرائه، وأنه تنوع تعانق، والتقاء تآزر.

٥. أن القراءات القرآنية في إثبات الواو وحذفها تجمع بين رابط المعنى ورابط الحس، مما يفضي إلى عظم التعانق، وقوة التآزر في بناء المعنى القرآني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه وسلم

المصادروالمراجع

١.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود،ط،دار الكتب العلمية بيروت،دون تاريخ.

٢.أنوار التنزيل للبيضاوي ط، الحلبي ١٣٨٨هـ.

٣.البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين،ط،دار الكتب العلمية ١٩٩٣م.

٤.تفسير القرآن العظيم لابن كثير،ط، عيسى الحلبي ، دون تاريخ.

٥.التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط، الدار التونسية ١٩٨٤م.

٦. التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية د/ عبد الله عليوة رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦م.

٧. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/ أحمد محمد سعد، ط، مكتبة الآداب ١٩٩٨م.

٨.جامع البيان للطبري ،ط، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ.

٩.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط، دار الغد العربي دون تاريخ.

١٠.حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي،ط،دار الكتب العلمية بيروت،دون تاريخ.

٩.حاشية محيي الدين شيخ زادة على البيضاوي ،ط،تركيا،دون تاريخ.

١١.حاشية القونوي على الشهاب ،تحقيق عبد الله محمود،ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

١٢.الحجة لأبي علي الفارسي تحقيق بدر الدين القهوجي وآخرين،ط، دار المأمون للتراث ١٩٨٤م.

١٣. الدر المصون للسمين الحلبي ، تحقيق د/ أحمد الخراط، ط، دار القلم، دمشق دون تاريخ.

١٤. عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، د/ محمد محيي الدين عبد الحميد، بهامش أوضح المسالك، ط، المكتبة العصرية بيروت، دون تاريخ.

١٥. غرائب القرآن، ورغائب الفرقان للنيسابوري بهامش الطبري، ط، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ .

١٦. فتح القدير للشوكاني، ط، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

١٧. الفتوحات الإلهية للشيخ سليمان الجمل ، ط، عيسى الحلبي، دون تاريخ.

١٨. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محيي الدين رمضان، ط، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.

١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل للزمخشري، ط، مصطفى الحلبي ١٣٩٢هـ .

٢٠. الكنز في القراءات العشر للإمام عبد الله بن عبد المؤمن الوجيه الواسطي تحقيق هناء الحمصي، ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.

٢١. معاني القراءات لأبي منصور الأزهري، تحقيق أحمد المزيدي ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م،

٢١. مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير للفخر الرازي، ط، دار الغد العرب ١٤٠٨هـ.

٢٢. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني تحقيق على النجدي ناصف وآخرين، ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩٩م.

٢٣. المحرر الوجيز لابن عطية تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.

٢٤.الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم العربي ١٤٠٨هـ.

٢٥.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ، ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م.